

خطاب قداسة البطريرك المسكوني "برثلماوس"
"الأديان والسلام"
المؤتمر العالمي للسلام - مجلس حكماء المسلمين والأزهر الشريف
القاهرة، 27 أبريل 2017

أصحاب الغبطة والفضيلة والسعادة،
الحضور الكرام،
الأصدقاء الأعزاء،

إنه لشرف لنا أن تتم دعوتنا للمشاركة في هذا المؤتمر العالمي للسلام الذي ينظمه الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين. نهني بحرارة فضيلة الإمام الأكبر وشيخ الأزهر السيد / أحمد الطيب عن شجاعته ورؤيته لتنظيم هذه المبادرة الهامة التي تساهم من خلالها الأديان في تعزيز السلام.

خلال العقدين الماضيين، تعرّضت الإنسانية إلى هجمات إرهابية متتالية نشرت الموت والآلام بين آلاف الضحايا وأصبحت أكبر تهديد ومصدر للخوف في المجتمعات المعاصرة. ومنذ ذلك الحين، كثيرا ما اتهمت الأديان علناً أو اشتبه بأنها تلهم الإرهاب والعنف. لقد أصبحت حياتنا اليومية مليئة بالأخبار الفظيعة عن هجمات إرهابية تُرتكب باسم الدين.

وفي الوقت نفسه، نلاحظ وجود استعداد وقدرة في عالمنا لتعزيز الحوار بدلاً من الصراع. وهذا صحيح، ليس فقط لدى القادة السياسيين والمنظمات المدنية، وإنما أيضاً لدى القادة الدينيين والمؤسسات الدينية التي أبدت استعدادها للدخول في حوار من أجل السلام على الصعيدين المحلي والدولي، وذلك بغية ضمان التعايش والتعاون السلميين بين البشر.

وبعد كل هذه المؤتمرات والإعلانات والمبادرات من أجل السلام، كيف يمكننا أن نفسر زيادة العنف بدلاً من أن نلاحظ إحراز تقدم في صنع السلام؟ كيف يمكن للمجتمع الدولي أن يبرر الأعمال الإرهابية الأخيرة في باريس أو بروكسل أو اسطنبول أو "سانت بطرسبرغ" أو "ستوكهولم"؟ كيف يمكننا أن نفسر الحروب الجارية والنزاعات المسلحة وسفك الدماء في الشرق الأوسط؟ كيف يمكننا أن نقبل الهجمات على الكنائس القبطية بطنطا والإسكندرية قبل أسبوعين؟ اسمحوا لنا أن نعرب مرة أخرى عن خالص تعازي البطريركية المسكونية وصلواتها للمجتمع القبطي ولجميع الشعب المصري.

ولكي نفهم ما يحدث في عالمنا اليوم، دعونا نفكر في دور الدين في حياة البشر. ومن المفارقات، وبدلاً من التوقع الحداثي لأن يكون عصرنا "عصرًا علمانياً ما بعد العصر الديني"، بات عصرنا "عصر ما بعد العلمانية" أو حتى عصرًا يشهد "انتشاراً للدين". الدين يظهر كبعد مركزي في حياة البشر على المستويين الشخصي والاجتماعي. الدين يطالب بدور في الحياة العامة ويشارك في جميع النقاشات المركزية المعاصرة.

الوظائف الهامة للدين واضحة في مجالات الحياة والتعايش الإنسانيين الأربعة التالية:

- أ) الدين مرتبط بالخوف العميقة للإنسان. فهو يوفر الإجابات على الأسئلة الوجودية الأساسية ويعطي للحياة توجهاً ومعنى. الدين يتيح للبشر بُعد الأبدية وعمق الحقيقة.
- ب) الدين مرتبط بهوية الشعوب والحضارات. لذا فإن معرفة معتقدات الآخر ودينه شرط مسبق لا غنى عنه لفهم الآخر وإقامة الحوار.
- ج) الدين أنشأ وحافظ على أعظم الإنجازات الثقافية للبشرية والقيم الأخلاقية الأساسية والتضامن والتعاطف، فضلاً عن احترام الخلق كله.
- د) الدين عامل حيوي في عملية السلام. وكما كتب القديس بولس فيما سبق: "لأنَّ الله لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهٌ سَلَامٌ" (1 كو 14:33). قد يتسبب الدين، بطبيعة الحال، في الانقسام عن طريق التعصب والعنف. لكن ذلك يُعتبر فشلاً له، وليس جوهره الذي يتمثل في حماية كرامة الإنسان.

وللأسف، فإن علمنا المعاصر يتميز إما بالنسبية - المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلمانية، أو الترفف الذي ينظر إليه الكثيرون على أنه ردة فعل على النسبية. التطرف غالباً ما يرى نفسه مهدداً أو حتى مضطهداً من طرف النسبية. وفي حين تنكر النسبية وجود الحقيقة، فإن التطرف يعتبر أن حقيقته هي الحقيقة الواحدة، وبالتالي يجب أن تفرضها على الآخرين، مما يستحيل بذلك على الدين أن يكون بمثابة جسر بين البشر. وفي التاريخ الحديث، حوّلت ظاهرة القومية وظاهرة ما بعد الاستعمار التطرف الديني والأصولية إلى مجرد أيديولوجية تُستخدم لأغراض سياسية.

وللأسف، فإن الانتشار المستمر للأصولية الدينية ولأعمال العنف الفظيعة باسم الدين يعطي للحدثين الذين ينتقدون الإيمان الديني حجة ضد الإيمان ويظهر الدين بجوانبه السلبية. والحقيقة هي أن العنف هو نقي للمعتقدات والتعاليم الدينية الأساسية. إن الإيمان الحقيقي لا يحرر البشر من مسؤوليتهم تجاه العالم وواجبهم تجاه كرامة الإنسان والكفاح من أجل العدالة والسلام. بل على النقيض من ذلك تماماً، الإيمان يعزز الالتزام بالعمل الإنساني ويوسع إقرارنا بالحرية والقيم الإنسانية الأساسية.

ففي الماضي عاشت منطقة البحر الأبيض المتوسط ولعقود عديدة فترة متميزة من التعايش السلمي بين اليهود والمسيحيين والمسلمين وإن دلّت هذه التجربة على شيء فإنما تدلّ على أن الشعوب التي تنتمي إلى أديان مختلفة يمكن لها العيش معا والبحث على خطاب أساسي يعزز القواسم المشتركة التي توحد الإنسانية بدلاً من تفرقتها، كما تبين هذه التجربة أن الديانات يمكن أن تكون بمثابة جسور لربط الشعوب وآليات لتعزيز السلام والتفاهم المشترك والتسامح بين البشرية جمعاء ولتكريس مفهوم الحوار بين الأديان.

ولهذا السبب، يقرّ الحوار بين الأديان ويعترف بالاختلافات الموجودة في التقاليد الدينية ويُعزّز التعايش المشترك والتعاون بين الشعوب والثقافات. فالحوار بين الأديان لا يعني إقصاء عقيدة الآخر ولكن يعني تغيير أفكارنا وسلوكنا لقبول الآخر. وهذا من شأنه إزالة الأضرار وتضميد الجروح والمساهمة في إقامة فهم متبادل والتوصل إلى تسوية سلمية للنزاعات. لاشك أن الأحكام المسبقة الخاطئة تنتج عن سوء فهم الأديان ومن خلال وجودنا اليوم في هذا المؤتمر العالمي المهم، نرغب التأكيد على نقطة مهمة تسببت في أضرار كبيرة وهي: أنّ الإسلام ليس له أي صلة بالإرهاب لأن الإرهاب هو ظاهرة دخيلة على كل الأديان. ولهذا السبب بالذات، يمكن لعملية الحوار بين الأديان طرد هذه المخاوف وإزالة كل هذه

الشكوك. كما تعتبر هذه المسألة محورية من أجل تعزيز السلام ولكن فقط من خلال نهج أسلوب تتخلله روح الثقة والاحترام المتبادلين.

وخلال شهر يونيو/حزيران الماضي، كان لي الشرف بترؤس المجلس الأرثوذكسي العالمي للكنائس الذي عُقد في اليونان في جزيرة "كريت"، ومن ضمن المواضيع التي تناولها المجلس مسألة نبذ وإدانة التطرف الديني بكل أشكاله وقد تم التأكيد أنه "للأسف نلاحظ في الوقت الحاضر تنامي أعمال العنف باسم الله وقد تسببت هذه الظاهرة في انتشار النزعات الدينية المتطرفة بين المجتمعات الدينية الشيء الذي أصبح يهدد الصورة الصحيحة لجوهر الظاهرة الدينية. فالحقيقة أن التطرف يعتبر " نزوة لا تقوم على أي أساس من المعرفة" (الروم 10.2) وهو يشكل التعبير الظلامي للنزعة الدينية". فضلا على ذلك، فقد أكد المجلس الأعلى على أن الحوار الصادق بين الأديان يساهم في تنمية الثقة المتبادلة وفي تعزيز السلام والمصالحة. (...) فلا يمكن تحقيق السلام الحقيقي باستخدام السلاح ولكن فقط باستخدام المحبة التي "لا تطلب ما لنفسها" (كورنثوس 13.5)، يجب أن يُستخدم زيت الإيمان لتضميد وعلاج جراح الآخرين وليس من أجل إعادة إشعال نيران الحقد". (البيان الصادر عن المجلس 17).

وتعتمد مصداقية الديانات اليوم على سلوكها عندما يتعلق الأمر بحماية حرية الإنسان وكرامته ومدى مساهمتها في تعزيز السلام. لا يعدّ هذا الفهم فقط شرطا مسبقا لإقامة تعايش سلمي بل لضمان بقاء الإنسانية في الوجود. ونحن يتعين علينا أن نواجه معا هذه التحديات. ولا يمكن لطرف - سواء أكان دولة أم أمة أم دين أم علم أم تكنولوجيا - مواجهة المشاكل الحالية بمفرده. ونحن بحاجة ماسة لبعضنا البعض: نحن بحاجة إلى التعبئة الكاملة والمشاركة وبذل الجهود بشكل مشترك لتحقيق الأهداف الموحدة بروح واحدة. ونحن نرى هذه الأزمة متعددة الوجوه بمثابة فرصة لنا للتعبير عن تضامننا من خلال الحوار البناء والتعاون والافتتاح والثقة المتبادلة. فمستقبلنا هو مستقبل مشترك والرحلة نحوه هي رحلة مشتركة وكما جاء في المزامير (133.1) "أليس هذا هو ما أحسن وأجمل ليسكن الاخوة معا في وحدة"

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر،
المشاركون الكرام،

نحن نؤمن إيمانا راسخا بأن مساهمة الأديان تبقى محورية وضرورية لسعيها المشترك من أجل تحقيق السلام في الأرض، وهذه الخطوة تعتبر مهمة للغاية لأنه بالنسبة للأديان بناء السلام في العالم لا يعني فقط غياب الحروب ولكن أساسا ضمان وجود الحرية والعدل والتضامن. ما هو مطلوب في الوقت الراهن من الأديان هو إرشاد الناس إلى عمق هذه الحقيقة لتغيير عقلية الناس تمهيدا لإرساء التفاهم المتبادل. وهذا يعتبر جوهر تقاليدنا الدينية، ولهذا السبب بالذات فالإنسانية تتوقع مّا المزيد من الإنجازات التي حققناها ويظل التحدي الكبير أمام الديانات هو: تنمية قدراتها الكامنة المتمثلة في المحبة والتضامن والتعاطف، وهذا هو ما تتوق إليه البشرية وتتوقعه من الديانات في وقتنا الحالي.

أشكركم جزيل الشكر على حسن الاستماع